18me année No 877

Le Caire 24—4— 1950

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

AKRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٨٧٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ رجب سنة ١٣٦٩ — ٢٤ أبريل سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

## « حيـــاتى » *

« حياتى » هى حياة صديق الدكتور أحمد أمين بك ، ألفتها الوراثة والبيئة والأقدار والظروف والمواهب والأخلاق والجهود فى مدى أربع وستين سنة ، فجاءت فصلا متميزا من كتاب الحياة العام . وقليل من الناس من يهيأ بفطرته وعبقريته ليكون مادة من مواد هذا الكتاب . أما الأكثرون فأكثرهم ينكرهم المؤلف الأعظم إنكاره للمعدوم ، وأقلهم يذكرهم إما لحقا فى حاشية وإما عرضا على هامش .

هذا الفصل الطويل الحفيل لخصه أحمد أمين بقلمه فجاء قصة من قصص البطولة النفسية فى ثلثمائة وخمسين صفحة من الحجم اللطيف ، تقرأها وأنت ترجو ألا تشغل عنها ، وتفرغ لها وأنت ترجو ألا تفرغ منها !

قرأتها فى جلستين اثنتين على كلال بصرى ووهن أعصابى ، فكنت كأنى أشهد بخيالى وذهنى فلما ثقافيا عجيب المناظر مختلف الألوان جم الصور يمتع العقل والقلب جميعا .

كان ما أجده من الشوق واللذة وأنا أقرأ « حياتى » لأحمد أمين ، يشبه ما كنت أجده من الشوق واللذة وأنا أقرأ « الأيام » لطه حسين : شوق ولذة من نوع غريب الطعم والأثر لم أذقهما فى حياتى الأدبية قبل هاتين المرتين فى هذين الكتابين . وليس معنى ذلك أن « حياتى » و « الأيام » يشتركان فى مذهب فنى واحد ، بل معناه أنهما يشتركان فى اجتذاب النفوس وامتلاك المشاعر بشىء آخر غير الفن . قد يكون ذلك الشىء فى الجمال النفسى الذى يتجلى فى الصدق حين يجوز الكذب ، وفى الصراحة حيث تنفذ الكناية ، وفى التفصيل حيث يسهل الإجمال .

وقد يكون فى الروح القوى الذى يهيمن على الكتابين ، فيظهر هناك فى عمق الشعور ، كما يظهر هنا فى عمق الفكر

وقد يكون فى التصوير الدقيق البارع لتربية روحية مسختها المادة ، وبيئة شعبية نسختها المدنية ، ولا يزال لمعانى النفوس أثر وبالقلوب نوطة .

وقد يكون فى أولئك كله ، وما أولئك كله إلا الصفات الجوهرية التى لا بد منها للمكتوب الصحيح وللكاتب الحق

عبر صادقا عن نفسك تتجاوب أنت والناس ، وانقل أمينا عن بيئتك تتعارف أنت والطبيعة .

* * *

قال لى صديق ذات يوم ونحن جالسان فى المجمع . صابحت

---

* كتاب الدكتور أحمد بك أمين نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر

إليك بأول نسخة تخرجها المطبعة من كتابى ، وسأمضى فيه على رأيك ولو كلفنى ذلك تفريق ما جمع وتمزيق ما طبع ، فانى ضعيف الثقة بما أعمل . فلما مضيت فى الكتاب تبين لى أن ضعف الثقة فى الصديق لم يأته من اشتباه الحق ولا من التباس الصواب ، وإنما أتاه من اتساع المسافة فى نفسه بين ما يريد وبين ما يستطيع ، ومن شدة الاختلاف فى رأيه بين ما يجب وبين ما يكون .

ولقد كان صديق فى هذا الكتاب بالذات كثير التردد فى كتابته ، كثير التشكك فى افادته ، فهو يقول فى المقدمة : « لم أتهيب شيئاً من تأليف كما تهيبت من اخراج هذا الكتاب ؛ فان كل ما أخرجته كان غيرى المعروض وأنا العارض ، أو غيرى الموصوف وأنا الواصف . أما فى هذا الكتاب فأنا العارض والمعروض والواصف والموصوف . والعين لا ترى نفسها إلا بمرآة . والشىء إذا زاد قربه صعبت رؤيته . والنفس لا ترى شخصها إلا من قول عدو أو صديق ، أو بمحاولة التجريد وتوزيعها على شخصيتين : ناظرة ومنظورة ، وحاكمة ومحكومة ، وما أشق ذلك وأضناه ! ... » وترددت أيضا فى نشره : ما للناس و « حياتى » ؟ لست بالسياسى العظيم ، ولا ذى المنصب الخطير ، الذى إذا نشر مذكراته ، أو ترجم لحياته ، أبان عن غوامض لم تعرف ، وخبآت لم تظهر ، فجلى الحق وأكمل التاريخ ؛ ولا أنا بالعالم الذى استكشف مجهولا من حقائق العلم فحاول وصفه وأضاف ثروة إلى العلم ، أو مجهولا من العواطف كالحب والبطولة أو نحوها فجلاها وزاد بعمله فى ثروة الأدب وتاريخ الفن ؛ ولا أنا بالزعيم المصلح المجاهد ، ناضل وحارب ، وانتصر وانهزم ، وقاوم الكبراء والأمراء ، أو الشعوب والجماهير ، فرضوا عنه أحيانا ، وغضبوا عليه أحيانا ، وسعد وشقى ، وعذب وأكرم ، فهو يروى أحداثه لتكون عبرة ، وينشر مذكراته لتكون درساً . لست بشىء من ذلك ولا قريب من ذلك ، ففيم أنشر حياتى ؟ »

ومع ذلك استطاع أحمد أمين بوزانة عقله ورزانة خلقه أن يقول لحق أصرح ما يقال ، وأن يصدر الحكم أعدل ما يصدر ؛ كما استطاع بقوة شعوره وصدق تصويره أن يحقق الفائدة للقارىء ، فجعل من تاريخ حياته تاريخ حياة لمصر فى الربع الأخير من القرن الماضى ، والنصف الأول من القرن الحاضر ، فوصف عادات كادت تزول ، وسجل حوادث كادت تنسى ، وصور وجوها كادت تغيب ؛ فالحال الاقتصادية بسخرتها وقسوتها وثقل ضرائبها وسوء جبايتها فى قرية (سخراط) بالبحيرة ، كانت هى الحال فى كل قرية من قرى الأقاليم . والحال الاجتماعية بطبقاتها وعاداتها واعتقاداتها فى (حارة المبادية) بالمنشية ، كانت هى الحال فى كل حارة من حارات القاهرة . والحال الشخصية بتربيتها ونفسيتها وعقليتها فى نفسه وأهله وصحبه وجيرته ، كانت هى الحال فى كل فرد من أفراد الشعب . وإن فى تصويره البيت والسقاء والمحدث والكتاب والأزهر ، وفى وصفه لأبويه وأخويه ، وصديقيه عبد الحكيم محمد وعلى فوزى ، وأستاذيه عاطف بركات ومسيو بور ، لنماذج من البيان المطبوع الذى يشرق بنور العقل وينبض بروح العاطفة . وإن من أجمل ما فى الكتاب تلك البراعات الذهنية التى تبدهك بين الصفحة والصفحة فى تحليل نفس ، أو تعليل حادث ، أو تأثير شخص فى شخص ، أو موازنة حالة بحالة . على أن مثل « حياتى » فى انبثاقها من البيت والحارة والكتاب والأزهر ، وفى تفرقها بعد ذلك فى نواحى العمل ووجوه الأرض وأشتات الأمر ، كمثل الدوحة العظيمة ، تكون عند الجذع قوية غليظة مكتنزة ، تضطرب بالحياة وتزخر بالخصب وتستمد غذاءها من جذورها الضاربة فى جوف الثرى ؛ فاذا تفرعت على ساقها انتشرت الأغصان وتشعبت الأفنان فتوزعت الحياة ، وتقسم الرى ، وخفت الحركة ، ولكن فيها مع ذلك الجمال والظلال والزهر والثمر ؛ فالقسم الأول من « حياتى » كأصل الدوحة عميق وثيق مكتنز لاستمداده من أعماق النفس ؛ والقسم الآخر كفروعها هش الأفنان منبسط الجوانب لامتداده فى آفاق الطبيعة .

والكتاب بعد ذلك قد كشف عن سر من أسرار الصناعة فى كاتبه . ذلك سر القصة . والنفس الفنانة عميقة كالكون ، سحيقة كالأبد ، فلا تنتهى أسرارها حتى ينتهى المجهول ، ولا تنقضى عجائبها حتى تنقضى الحياة !

**احمد حسن الزيات**